ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص832-847

رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات عام 1858م أهدافها ونتائجها في استراتيجية الاحتلال الفرنسي للتوغل في الصحراء

Ismail Bouderbah's travel to Ghat in 1858, its objectives, and results in the French occupation's strategy of incursion into the desert

محمد مبارك كديده
جامعة تامنغست (الجزائر)
m.mebarektam@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/04/13
تاريخ القبول:
2022/05/09

الكلمات المفتاحية:
- ✓ إسماعيل بوضربة
- ✓ الصحراء
- ✓ غات
- ✓ التوارق

الملخص:

يتحدث هذا البحث عن رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات عام 1858م، التي تعد واحدة من أهم الرحلات التي قام بها واحد من أهم المترجمين الذي اعتمد عليهم الاحتلال الفرنسي في التوغل في الصحراء في فترة لم يكن لدى الاحتلال الفرنسي معلومات كافية عن الصحراء وقبائل التوارق خاصة، فتوجهت هذه الرحلة من الأغواط إلى غات خصيصا مستهدفة جمع المعلومات والعمل على إمكانية توقيع اتفاقية تجارية مع التوارق خدمة للاستراتيجية التوسعية للاحتلال الفرنسي.

Article info

Received:
13/04/2022
Accepted:
09/05/2022

Key words:
- ✓ Bouderbah
- ✓ desert
- ✓ Ghat
- ✓ Touareg

Abstract:

This research is studying the travel of Ismail Bouderbah to Ghat in 1858, one of the most important trips made by one of the most important translators who adopted the French occupation in the desert in a period did not have sufficient information about the desert and special touaregs tribes, This trip from Laghouat to Ghat specially targeted information collection and work on the possibility of signing a commercial agreement with a service for the expansionist strategy for the French occupation

مقدمة

كانت القوافل التجارية والتجارة الصحراوية محط صراع بين الاحتلال الفرنسي والاحتلال الإنجليزي في إفريقيا ورغب كل طرف في السيطرة على طرقها وحواضرها ومراكزها وأسواقها واخضاعها لهيمنته وإدخالها في مخططاته الاقتصادية ومخططات الهيمنة على مناطق واسعة في افريقيا، وسخر في سبيل ذلك مجموعة كبيرة من المستكشفين والخبراء من مختلف الصفات والهيئات غايتهم جميعا جمع المعلومات الكافية والمستفيضة التي تمكن من الولوج إلى هذا العالم الجديد، وجمع الفرنسيون معلومات كثيرة حول التوارق، وجمعوا معلومات كبيرة عن التجارة النشطة في غات واغدامس عبر شبكة من الطرق والمناطق في كل من آجر وتوات وتيديكلت وأهقار وغيرها، وصولا إلى مناطق في إفريقيا جنوب الصحراء فرغب في الدخول كطرف في تجارة هذه القوافل بغية تحقيق أهداف كثيرة، فنجح الفرنسيون في توقيع اتفاقية اغدامس التجارية مع التوارق سنة 1862م، فركزت الكثير من الكتابات على ما قامت به بعثة ميرشير **(MERCHER)** وبولنياك **(POLIGNAC)** وهوفمان **(HOFFMAN)** وفاتون **(VATONNE)** وبوضربة، ولم تنتبه للدور الكبير الذي قام به بوضربة في تجهيز الأمر. **فإلى أي مدى ساهمت رحلته التي قام بها عام 1858م في تهيئة الوضع لتوقيع الاحتلال الفرنسي للاتفاقية عام 1862م؟ ولماذا قام بها؟ وهل كان الاحتلال يتوقع نجاح رحلته؟ وإلى أي مدى تم الاعتماد على ما كتبه بعد القيام بتلك الرحلة؟ وما هي الظروف التي وقعت فيها هذه الاتفاقية؟ ما أهدافها وخلفياتها؟**

1. تعريف إسماعيل بوضربة

ولد إسماعيل بوضربة في مرسيليا سنة 1823م من أم فرنسية، كان تزوجها أبوه أحمد الذين كان من كبار تجار وأعيان الجزائر الذي كان حاضر في مفاوضات الداي حسين مع الفرنسيين بحكم أنه كان تاجر في مرسيليا، وقد كان معجبا بالثقافة واللغة الفرنسيتين، كان يتقن اللغة الفرنسية بحكم نشاطه التجاري بين الجزائر وفرنسا[1].

ذكر سعد الله أن عائلة بوضربة كانت من الداعين الأوائل الذين دعوا إلى التعلم باللغة الفرنسية، وصنفهم ضمن المثقفين الإندماجيين[2]. عمل أحمد على إدخال ابنه إسماعيل إلى المدارس الفرنسية بعد احتلال الجزائر، إسماعيل الذي هو محور هذه الورقة وصاحب الرحلة فيما بعد في سنة 1858م إلى غات التي نركز عليها سيصبح سنة 1852م مترجما للجيش الفرنسي، فقد شارك في عدة حملات لتوسع الاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري كالحملة على الأغواط ووادي ميزاب وتوقرت[3]، وتذكر بعض المراجع أنه جرح في إحدى المعارك جرحا بليغا وعلى ما يبدو أن إسماعيل الذي ولد ودرس في فرنسا ومن أم فرنسية قد رسم لنفسه طريقا في خدمة توسع الاحتلال الفرنسي[4]، ما نستنتج منه أن الفرنسيين أرادوا الاستثمار فيه في فترة كان الجيش الفرنسي بأمس الحاجة إلى مترجمين يتقنون العربية والفرنسية يرافقونه في حملاته التوسعية خاصة بوضربة الذي تظهر نظرتهم هذه اتجاهه عند وفاته وما كتب على قبره.

ولأهمية الرجل بالنسبة للفرنسيين مُكن "**إسماعيل بوضربة**" من عضوية الجمعية التاريخية بالجزائر[5] التي كان يترأسها "**بير بروجر**"[6]، كما مُكن كذلك من عضوية الجمعية الجغرافية بباريس[7] ما يدل على الأهمية والثقة التي يحظى بها هذا الرجل لدى أجهزة الاحتلال، فكلف بمهمة من قبل الحاكم العام "**راندون**" عام 1858م إلى غات واغدامس بغاية استكشافهما، وبعدها كتب عن رحلته تلك وطبعت عام 1958م[8]، ما يؤكد حكمنا السابق حول نظرة له إذ كانوا يرغبون عن طريقه جس النبض وجمع المعلومات في هذه الصحراء الواسعة التي كانت ما تزال مجهولة بالنسبة إليهم، خاصة أنهم كانوا يرغبون في حسم الصراع حول مناطق النفوذ مع الإنجليز وحول التجارة الصحراوية التي كانوا يستهدفون السيطرة عليها، ولهذا اكتسبت مهمته أهمية بالغة ذاع صيتها لاحقا في فرنسا لما طُبعت وأصبحت تشكل خارطة طريق ومصدر للمعلومات بالنسبة للمغامرين الفرنسيين من بعده خاصة "**هنري دوفرييه**"[9](**DUVEYRIER**)، الذي وجه جهوده لاكتشاف الصحراء وقبائل التوارق خصوصا، ولكونه مسلم تمكن من القيام بمهمته التي تطلع الفرنسيون إلى نتائجها.

توفي إسماعيل بوضربة في 16 نوفمبر 1875م بالجزائر العاصمة وكتب الفرنسيون على قبره ما يعبر عن رؤيتهم له على أنه يمثل حلقة الوصل بين الأعراق[10].

2. مدينة غات وأهميتها الاستراتيجية في تجارة القوافل الصحراوية

تعد مدينة غات من بين أهم المدن في الصحراء بالنسبة للتوارق، فهي من أبرز المحطات التجارية التي تمر بها القوافل الصحراوية وسوقها مهم فقد قال عنها "**محمد بن عثمان الحشايشي التونسي**" صاحب الرحلة إلى ليبيا سنة 1895م التي تحمل عنوان: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب: "...**إن غات مركز عظيم التجارة الصحراوية ومرسى السودان ولها تجارة كبيرة مع أهل توات وأهلها أصحاب عقيدة راسخة على مذهب الإمام مالك** رضي الله عنه **متمسكون بالطريقة السنوسية وكانوا قبلا لا يتعاطون في تجارة الوثنيين لذين لا دين لهم**"[11].

واهتم الكثيرون ممن كتبوا عن "**غات**" بمختلف مظاهر الحياة فيها خاصة الأوروبيين منهم "**بيسويل**" (**BISSUEL**) أنه يرجح أن تاريخ تأسيس "**غات**" يعود إلى القرن الرابع أو الخامس، مدينة جذبت إليها الناس من مختلف المناطق فبحكم نشاطها التجاري الكبير استقر بها أناس وفدوا إليها من مناطق مختلفة من توات وتيديكلت والعديد من المناطق المجاورة ومن مناطق مختلفة من إفريقيا جنوب الصحراء[12]، وتطبع سكانهم ثقافة التوارق بالرغم من تنوع سكانها فقد ذكر الحشايشي إلى ذلك فمدينة غات مهمة بالنسبة للتوارق[13] .

وبناء على اهتمام الاحتلال الفرنسي بالتوسع في الصحراء وبالتوارق وبالسيطرة وتحويل تجارة القوافل فإن غات كواحدة من أهم مدن التوارق وأهم المحطات التجارية للقوافل كانت هدفا للاحتلال الفرنسي ومستكشفيه للأسباب التالية:

– تريد فرنسا الاستثمار في المنطقة لضعف النفوذ العثماني ولحسم صراعها مع بريطانيا وعلمهم بكل التحركات والخلافات السابقة للتوراق في غات مع الميالين للحكم العثماني، وغات مهمة بالنسبة له كمحطة استراتيجية في تجارة القوافل العابرة إلى السودان فهي محطة مهمة على المحور مرزق – عين صالح ومركز

سياسي بالنسبة للتوارق الذين يسيطرون على طرق التجارة إلى السودان[14]، وهذا أمر مهم للاستراتيجية الاحتلال الفرنسي في المرحلة الأولى.

– سوق غات نشيط ومتعدد الموارد والسلع فقد ذكرت مختلف المصادر أن به فقد أشار "**الحشايشي**" إلى أن سوقها يستقبل في السنة أكثر من ثلاثين ألف جمل محمل من مختلف البضائع، فهو يروي أنه شاهد بعينه نابين لفيل من كبر حجمهما يحملهما جمل، والعديد من السلع بهذا السوق منها ريش النعام والعبيد والجلود وغيرها من السلع القادمة من السودان[15].

– إضافة إلى أهمية موقعها الاستراتيجي على خط الطرق التجارية وقربها من مدينة اغدامس النشطة تجاريا هي كذلك، فإن لغات مكانة سياسية بالنسبة لتوارق آجر كما سنرى استقرار زعمائها بها أو في نواحيها وفرنسا وصلتها أخبار مفادها أن السنوسية وأتباعها المناهضون لفرنسا ينشطون بغات، كما سنرى حين يتطرق بوضربة لذلك في تفاصيل رحلته.

3. رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات محطاتها

إن رحلة إسماعيل بوضربة بالنسبة للفوائد التي عادت على استراتيجية الاحتلال لم يسبقها إلا رحلة "**هنري بارث**" [16]، لكن الكثير من الكتابات لم تبرز أهميتها وركزت على جهود "**دوفرييه**" الذي جاء من بعده، فرحلة بوضربة وما حملته من معلومات ذللت الصعاب خاصة بالنسبة لـ "**دوفرييه**" و"**فلاتيرز**" (**FLATERS**)، وهو ما يؤكد رأي أبو القاسم سعد الله حين اعتبر أن الفرنسيين بالرغم من الخدمات المهمة التي قدمها للاستراتيجية الفرنسية إلا أنهم لم يقدروا ذلك بالكيفية والطريقة اللازمة.

عثرت على رحلته المطبوعة حين كنت أبحث في استراتيجية الاحتلال الفرنسي للتوسع جنوبا في المجلة الجزائرية الفرنسية (**Revue algerienne et Colonial**) بعنوان رحلة إلى غات من 01 أوت إلى 01 ديسمبر 1858م[17]، رحلته الطويلة انطلق فيها إسماعيل بوضربة من الأغواط بتاريخ 01 أوت 1858م بعد أن جهز قافلة مكونة من خمس وعشرين (25) جملا اتجهت إلى وادي ميزاب بالتحديد إلى "**القرارة**"، لأن بوضربة كان على موعد مع شخصية مهمة بالنسبة لرحلته كدليل وله مكانة اجتماعية تذلل الصعاب التي قد تعترض "**بوضربة**" عبر حواضر الصحراء ومناطقها المتباعدة وهو "**الشيخ عثمان البكري السوقي**"[18]. ولما وصل إلى "**القرارة**" لم يجده هناك ويقول إنه سمع أنه في "**تماسين**" واضطر لانتظاره مدة ستة أيام استغلها لجمع المعلومات عن المنطقة ويتقصى الأخبار. وبدأ اهتمامه بالتوارق يظهر خاصة الأخبار المتعلقة باحتكاكهم بالمقاومات والمقاومين للاحتلال الفرنسي، فقد كتب بوضربة أنه سمع عن أخبار حلول "**الشريف بن عبد الله**" بتوات والتفاف السكان حوله وترحيبهم به، كما بلغه بأن تأثيره وصل إلى توارق الهقار وأهم شيء كان يهمهم تتبع اتساع تأثيره فلم يفته أن يشير إلى أن الرجل استطاع أن يصلح بين قبيلتي "**كل غلا**"[19] و" **تايتوق**"[20] لخلاف نشب بينهما لمدة طويلة[21] والملاحظ بالنسبة للقارئ أهمية المعلومات التي فصل فيها قياسا بمدة الإقامة

التي لم تكن طويلة إذ وصل يوم 16 أوت وغادر يوم 17 أوت ما يدل على ان له خبرة كضابط في المكتب العربي اكتسبها من خلال مكوثه بالمهمة مدة طويلة في الأغواط .

وانطلقت الرحلة عند وصول "**الشيخ عثمان**" صباح يوم 14 أوت 1858م وصل إلى "**نقوسة**" بعد يومين، ولم يفوت الفرصة إذ دون في تقريره كل تفاصيل الإقامة في نقوسة وكل ما لاحظه من الاستقبال إلى الطعام إلى الشؤون الاجتماعية وما ارتبط بها من شؤون سياسية وعلاقتها بورقلة، واسترسل في تاريخها السياسي والاجتماعي وحتى الجوانب الثقافية والأساطير تطرق لها ولخلفياتها وتأثيرها وأهم الشخصيات المؤثرة من تأسيس المدينة وصولا إلى تأثيرات مقاومة "**الشريف بن عبد الله**"[22].

واصلت قافلة "**بوضربة**" رحلتها نحو "**ورقلة**" ونفس الشيء قام به في "**ورقلة**" حيث قام بجولة جمع فيها معلومات مهمة استرسل في شرحها ولم تخرج من نطاق اهتماماته السابقة خاصة الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية وأهم الشخصيات المؤثرة، بل أنه يدعم التأكيد على معلوماته السابقة حول المنطقة التي حل بها سابقا فهو لا يُضيع فرصة محاورة أي شخصية تمكن من لقائها.

في هذه المنطقة الملفت للانتباه حديثه عن تردد اعترى "**الشيخ عثمان**" للقيام بمواصلة الرحلة إلى "**غات**" بعدما وردت إليه أخبار واقعة هناك، ولكن "**بوضربة**" أصر عليه بالمواصلة خاصة أن الأحداث التي سمع عنها تبعد عن طريقهم، وأبلغه أنه مصمم على المواصلة ولو اقتضى الأمر الاستعانة بشخص من الشعانبة، ويذكر أنه دعم ضغطه على "**الشيخ عثمان**" بإهداء هدية تمثلت في خيمة وبندقيتين مزدوجتي الطلقة وحائك، ويذكر أن البندقية طلبها منه "**الشيخ عثمان**" سابقا، والذي كان يرغب في اهداءها لشقيقه "**الحاج أحمد البكري**" والحائك لزوجة أخيه ومن خلال كلامه يتضح أنه بهذا التحرك أثر في "**الشيخ عثمان**" [23].

الملاحظ أن الشيخ عثمان طلب هدية لأخيه الذي يبدوا أن بوضربة ومن خلال ما كتبه لم تكن لديه معلومات عن أخ "**الشيخ عثمان**" ولو علم لكتب ولسأل عن أن أحد زعماء توارق الهقار "**الحاج أحمد البكري**" الذي طُلبت له الهدية حينها، فالرجل كان في منصب الأمينوكال ويبدوا أن رفيقه ودليله "**الشيخ عثمان**" الذي كان يزوده بمعلومات مستفيضة، أخفى عنه معلومات عن أخيه ومكانته في مجتمع أهقار، فالحاج أحمد تولى تمنوكلة[24] خلفا لخاله "**أق مامه أق سيدي**" سنة 1850م بل تولى زمام الأمور قبل وفاة خاله حتى والذي كبر في السن كثيرا[25]، حسب ما تقتضيه قواعد انتقال السلطة عند التوارق ويعد شخصية محورية، وكانت المعلومات حوله مهمة لبوضربة الذي أبدى ودون ملاحظات عديده حول جوانب الحياة المختلفة منها النشاطات الاقتصادية والزراعية فهو – أي الحاج أحمد– من قام بتشجيع الزراعة في الهقار واستقدم الخبراء في أنظمة الري والزراعة من تيديكلت وتوات لإنشاء الفقارات، وازدهرت الزراعة في أهقار في عهده[26]، في هذه الفترة كان أمنوكال أهقار أي سنة 1858م حين كان شقيقه يرافق بوضربة في رحلته لأن فترة حكمه كانت من عام 1850م إلى عام 1877م[27]، ولم يذكر بوضربة في رحلته أي معلومة عن هذه الشخصية المهمة.

باشرت قافلة بوضربة رحلتها فغادرت ورقلة يوم 20 أوت واستمر في وصف الطريق وخاصة أماكن تواجد آبار المياه لأهميتها في الصحراء وحالة الجو والطرق والطبيعة مرتفعات منخفضات درجة الحرارة الغطاء النباتي، وصلت الرحلة إلى منطقة "**العوج**" وراح بوضربة يصف الطبيعة ويسجل تسميات الأودية المهمة وعرضها وطولها وموقع الجبال والكثبان وكيفية اختراقها، وعلى سبيل المثال لا الحصر لما وصلت القافلة إلى "**عين الطيبة**" يوم 27 أوت ولأهمية المعلومات حدد كم المسافة بينها وبين "**الجريبعي**" واسترسل في وصف المياه المتواجدة بها وجودتها وعمقها وغيرها من المعلومات[28].

قطعت القافلة القاسي ووصلت إلى "**الأبيض**" وفي تقريره كتب بوضربة معلومات مهمة عنها كما فعل في السابق وروى عن الحوادث الطريفة وحالات الخوف التي وقعت لهم وأورد معلومات قد تكون مهمة لتوسع الاحتلال الفرنسي مفادها أن منطقة "**الأبيض**" يعتبرها التوارق حدا فاصلا بين بلادهم وبلاد الشعانبة[29].

وصلت رحلة بوضربة إلى تيماسينين يوم 06 سبتمبر وراح يصف الزاوية وحالها وكل مرة لا يفوت فرصة إعطاء معلومات مفصلة خاصة أنه وجد بها ضريحا، فراح يحصي السكان ويصف الوضع ويشرح الخلفيات فعلى سبيل المثال لا الحصر كتب عن حرارة الماء العذب بهذه المنطقة، وأشار إلى أنه منبع الماء الوحيد منذ غادروا "**الأبيض**"، وكان يركز على ملاحظات متعلقة بالجانب الديني والاجتماعي، إضافة إلى استمراره في وصف الجوانب الطبيعية المختلفة[30].

غادرت بعثة "**بوضربة**" "**تيماسنين**" ووصلت منطقة "**الطاير**" يوم 08 سبتمبر ثم عبرت مرتفع "**الخنفوسة**" يوم 09 سبتمبر واضطر بوضربة لمغادرة "**تيماسينين**" بالرغم من أنه كان يمكنه البقاء بها ريث ما يتم التحقق من الأخبار المقلقة التي وصلتهم، فقد كتب عن انزعاجه من الطلبات الكثيرة لأقارب "**الشيخ عثمان**"، بالرغم من الأخبار السيئة التي وصلته من "**غات**" أولها مفاده خلاف ونزاع يدور بين توارق أهقار وآجر وثانيها مفاده أن النظرة إلى "**الشيخ عثمان**" تغيرت وأن هناك من التوارق من يعتبره استسلم للفرنسيين وعلى إثر ذلك ينوون غزو غات، ومن خلال قراءة الشرح الذي كتبه بوضربة لتلك الأمور يتبين لنا أنه لم يكن يثق ثقة كاملة في الشيخ عثمان بدليل أن الأخبار وصلته-أي لبوضربة- عن طريق صديق لمخبر له في القافلة من قبيلة إيفوغاس[31]. وعن طريق تاجر من الأغواط بأنه مهدد بالقتل مع الشيخ عثمان ومرافقيهم، ثم سأل الشيخ عثمان في شكل سؤال يوحي بمواجهته بالأمر إن كان هناك من يستهدف الإساءة إليهم في "**غات**" فأجابه إجابة تبدوا غير مقنعة بالنسبة له حين قال له أنه لاحظ أن الذهنيات قد تغيرت، فأشار إليه بضرورة مواصلة الرحلة نحو هدفها ولا يمكنهم التراجع بعد قطع الجزء الأشق من الطريق، ولم يكن يريد البقاء في "**تيماسينين**" خوفا من استمرار أقارب "**الشيخ عثمان**" في طلباتهم قد يقضي على المؤنة، فاتخذ ذريعة مفادها أن "**تيماسينين**" لا تعتبر مكانا آمنا فهي في مكان يعد ملتقى القوافل القادمة من "**اغدامس**" و"**غات**" و"**توات**" وأفضل خطة هي إرسال فارس لتقصي الأخبار في "**غات**" ويتبعونه على أن يتركوا مسافة أيام بينه وبينهم[32].

وبعد أن أنهت القافلة عبورها عبر مرتفع الخنفوسة شرع بوضربة في وصف واحد من أهم الأودية وادي "**إيغرغارين**" الذي تتشعب منه مجوعة من الأودية إلى مشارف "**غات**" واسترسل كالعادة في وصف الطبيعة والطرق وأماكن المياه والنبات وكل الذي لاحظه دَوَنه، كل ما تعلق بجغرافيا أرض التوارق شرح دون أن يشير إلى مصادره هذه المرة، وعند وصولهم إلى "**عين تبلبالة**" استمر على نفس النهج في الوصف الدقيق والشرح المفصل.

ويوم 12 سبتمبر وصلت القافلة إلى عين الحجاج، ولاحظت أنه لما شرح كالعادة ذكر أنها محطة لقوافل الحج التي تحط بها الرحال مرة في العام قاصدة مكة بالرغم من قداستها يهاجمها التوراق ويغيرون عليها[33]. والملاحظ أن بوضربة لا يتوانى في الاهتمام والكتابة عن مثل هذه المواقف والمعلومات المتعلقة بأي قبيلة من قائل التوارق حتى يتسنى للاحتلال معرفة الأساليب الممكنة وكيف يمكنه استغلاله وضعية الخلافات إن احتاج إليها.

ومن 13 إلى 25 سبتمبر قطعت القافلة مجموعة من الأودية التي وصفها وعرف بها من أهمها "**تاجران**" و"**آيتزونيتان**" و"**سامان**" و"**إنلال**" و"**إيهان**" و"**تجلجولت**" و"**إليزي**" و"**تاخمالت**" و"**تهنكلت**" و"**إيزكراك**" و"**تارات**" و"**تتيخسين**" ... وكلها أودية مهمة فصل في وصفها وفي صياغة المعلومات حولها ومنابع الماء الموجودة وعمقها ومكانها وحالة مياهها حتى أهمية هذه الوديان كتب على سبيل المثال أنه عَلِم أن واد "**تجلجولت**" مِلك لعائلة الزعيم "**أخنوخن**"[34]، وتُشكل هذه الأودية مراعي وعلى من يرغب في رعي مواشيه فيها أن يدفع إتاوات لمالكيها، وكتب الكثير من الملاحظات التي لاحظها كتدخين بعض نساء التوارق وعدم أكل التوارق للحوم الطيور وغيرها مما عايشه ولاحظه كتبه بأسلوب يثير رغبة القارئ في معرفة المزيد[35].

وفي صباح 26 سبتمبر وصلت الرحلة أخيرا إلى مدينة "**غات**" بدأ بوضربة في وصف المدينة ووصف اللحظات الأولى التي حطوا بها الرحال، وحالة عدم الطمأنينة التي سبقت لقائهم الزعيم "**أخنوخن**"[36]، الرحلة كانت شاقة ولكن إصرار "**بوضربة**" على الاستمرار في وجه الخوف والعقبات جعلته يصل إلى مبتغاه ووصف الطريق في حد ذاته جزء مهم من أهداف الرحلة.

4.الأهداف الأساسية لرحلة بوضربة إلى غات

بوصول الرحلة إلى غات تحقق أول الأهداف ذلك أن الفرنسيين باتوا يعرفون الكثير من التفاصيل عن الطريق من الأغواط وورقلة وصولا إلى غات من خلال قراءة ما كتبه بوضربة ويمكن تلخيص باقي الأهداف كما يلي:

أولا: تمكن بوضربة من فهم مواطن القوة والضعف لدى التوارق وخلافاتهم والكثير من خلفياتهم بما لاحظه في الطريق وبما عاشه وما سأل عنه وفهم آليات التحكم والنفوذ الكثير منها مفيد جدا للهدف قصير المدى الذي يريد الاحتلال الفرنسي تحقيقه، وهو البحث عن السبل التي تمكنهم من السيطرة على تجارة القوافل وأن يصبحوا جزءا منها، وخطوته الأولى كسب الأطراف التي تسيطر على ضمان أمن هذه القوافل وطرقها عند المرور

بالكثير من المناطق، ويبدوا أن بوضربة حقق الهدف منذ اختياره الموفق للشيخ عثمان ليكون دليلا له و ما يثبت ما ذهبنا إليه هو ما كتبه بوضربة عن "**أخنوخن**" عند نزولهم لأول مرة بمدينة "**غات**" حين تجمع الناس عازمين على عدم السماح لهم بدخول المدينة واعتبروا "**الشيخ عثمان**" مرتدا عن دينه وباع وطنه وخانه مع الفرنسيين، وقد دافع عنهم "**اخنوخن**" الذي يملك نفوذا واسعا ومهما، وفهم بوضربة جيدا أهمية ذلك حين شرح أن القوافل القادمة من الجزائر تدفع الإتاوات لأسرة "**أخنوخن**"، والقادمة من طرابلس تدفع لآل "**ختيتة**" وهو أمر تتوارثه هذه الأسر التي تضمن بالمقابل أمنه وتعثر وتعيد له أشياءه إن سُرقت منه وأشار إلى أن هذا الأمر يدر أرباحا على هذه الأسر وكونت لديهم سطوة وسلطة[37].

ثانيا: جس نبض التوارق عن طريق مسلم يطمأنون إليه وهذا الشخص هو من يستميلهم ويقربهم من الفرنسيين ويقنعهم بالمصالح المشتركة التي يمكن أن تنموا بين الطرفين وفعلا قد نجحت الخطة والفكرة، فعبر بوضربة استطاع الفرنسيون ذلك وتَدَرج في ذلك وقد علم أن خبر مهمته وأهدافها كانت قد وصلت إلى غات والتوارق على علم بنوايا الفرنسيين استمالتهم وقد نجح بوضربة في ذلك[38] .

ثالثا: الاحتكاك والاتصال المباشر بزعماء التوارق فقد دارت بينه وبين "**أخنوخن**" و"**محمد أق ختيتة**" نقاشات تمكن فيها بوضربة من إبداء الصورة الإيجابية للتعامل والتعاون التجاري مع الفرنسيين وفهم كيف ينظرون إلى مختلف القضايا المرتبطة بذلك ونجح في جعلهم يقتنعون بأنهم سيعوضون الكثير وتفتح لهم آفاق جديدة، وتمكن من الحوار مع عدد من تجار اغدامس التي تعد كذلك حاضرة تجارية مهمة[39].

رابعا: فهم تأثير السنوسية في هذه المناطق وتمكن من الاطلاع على أهم الرسائل التي كانت تدعوا لمعادات الفرنسيين ومناهضتهم وتمكن من ذلك عبر أهم الشخصيات وعمل على محو تلك الصورة ومناقشتها، ولم يكتفي بذلك بل اتهامها بأنها – أي السنوسية– تريد أن تحرمهم من مزايا الازدهار الذي ستحظى به بلادهم وتجارتهم وعائداتهم بدعوى الدين والجهاد ويبدوا أنهم اقتنعوا بكلامه فوضع أرضية مهمة لتوقيع وترسيم ذلك عبر اتفاقية مع التوارق.

5. إعداد وتوقيع الفرنسيين للاتفاقية التجارية مع التوارق

كان الاعتقاد السائد عند الكثيرين أن الفرنسيين لما قاموا بالإعداد للاتفاقية التجارية التي جعلتهم طرفا في التجارة الصحراوية أو تجارة القوافل الصحراوية مباشرة بل سبق ذلك إعداد وجس نبض وجمع معلومات عن طريق جواسيسها وذلك حتى قبل احتلال الجزائر عام 1830م فقد عرف الأوروبيون أن هذه التجارة كانت تربط العلاقات المختلفة بين الشعوب في إفريقيا فشجع المغامرين ومُولت بعثاتهم من 1788م إلى 1828م جابت البعثات مختلف الحواضر الإفريقية والمدن والطرق والأنهار كنهر النيل ونهر النيجر ونهر غامبيا منها ما نجح ومنها ما فشل، بحثت في الإثنيات والقبائل والجغرافيا والتاريخ واللغات واللهجات وجمعت معلومات كثيرة كانت مجهولة بالنسبة للأوروبيين عن المجتمعات الإفريقية[40]، ثم ازداد نشاطها بعد احتلال الجزائر من أشهرها وأهمها رحلة الألماني "**هنري بارث**" (**Henri BARTH**)[41].

أصبح الأوروبيون نتيجة النشاط المكثف للمستكشفين والجواسيس والبعثات يعرفون الكثير من التفاصيل الدقيقة عن السكان في إفريقيا حتى التوارق الذين هم طرف هذه الاتفاقية ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للاحتلال الفرنسي[42]، وإن كان البعض يركز تركيزا كبيرا على "**هنري دوفرييه**" (**Henri DUVERIER**)[43].

صحيح بالعودة إلى كتابات "**دوفرييه**" نجد أنه كلف بمهمة جس نبض للسكان إثر احتكاكهم بالفرنسيين مما يمهد الطريق أمام الاحتلال لاختيار الأسلوب الأنجع لاحتلال هذه المناطق الصحراوية، فقد بدأ هذا المستكشف رحلته من سكيكدة في1859 م مرورا ببسكرة وصولا إلى لقرارة ثم إلى غرداية فمتليلي ثم إلى لمنيعة التي اضطر فيها بعد الاحتجاز من العودة أدراجه إلى غرداية ثم إلى الأغواط ومنها فكر بالتوغل إلى غاية بلاد التوارق ومنطقة توات ولكنه غير رأيه بسبب عدم أمن الطريق ليتجه إلى لقرارة ثم تقرت ثم منها عاد إلى بسكرة ثم قصد قسنطينة للاستراحة، ثم عاود التحرك في فيفري 1860م ليتوجه بداية إلى منطقة وادي سوف ثم ليدخل بعدها إلى الجنوب التونسي بعد الحصول على ضمانات أمنية من قبل المسؤولين الفرنسين المتواجدين بتونس ثم عاد بعدها إلى بسكرة، و في شهر جوان 1860م توجه إلى وادي سوف ومنها إلى "**أغدامس**" التي كانت حاضرة تجارية مهمة في تجارة القوافل الصحراوية وتمكن "**دوفرييه**" من الاحتكاك بالتوارق بل وحظي بحماية زعيم توارق آجر "**أخنوخن**" وهذا ما مكنه من التجوال بين "**غات**" و"**فزان**" وطرابلس ومنها إلى الجزائر[44].

ومن الذين ذهبوا هذا المذهب مياسي رحمه الله الذي يرى أن "**دوفرييه**" له اليد الطولى في وضع الأرضية وجس النبض لتوقيع الاتفاقية مع التوارق في اغدامس بالرغم من أنه يشير إلى رحلة "**إسماعيل بوضربة** " ومما سبق يظهر أن بوضربة سبقه إلى كل ذلك[45]، ويمكن أن يكون صحيحا ما ذهب إليه "**مياسي**" في إمكانية عدم ثقة الفرنسيين فيما وصل إليه "**بوضربة**" كونه مسلم ويريد أن يتحقق من طريقة تعاملهم مع غربي أوروبي[46]. لكن لا يمكن الجزم بذلك كون الفرنسيين اكتسبوا في هذا التوقيت معلومات كثيرة ومستفيضة حول نقاط القوة والتأثير في المجتمعات الإفريقية وخاصة المسلمة التي خصصت دراسات مستفيضة حول الطرق، فإنها تعرف نفوذ ومكانة مقدمي الزوايا والطرق وأعيان وزعماء القبائل فقد حصلت فرنسا على فرصة جس النبض عن طريق مسلم قبل "**بوضربة**" حين كلفت "**حمزة بن أبي بكر**" المعين في منصب باشا آغا، فجلب مجموعة من أعيان التوارق ومعهم "**الشيخ عثمان**" مقدم الطريقة التيجانية من قبيلة إيفوغاس للجزائر العاصمة سنة 1854م وحينها قدم "**الشيخ عثمان**" وعدا بتسهيل نسج علاقات تجارية مع الفرنسيين ووعد بالتحالف معهم نيابة عن الزعيم "**أخنوخن**"[47]وهو ما سيتم فعلا، ولو كان الحكم كما سبق فإن الحكم على "**الشيخ عثمان**" هو نفسه الذي ينطبق على "**بوضربة**".

ومنه فإن المطلع على تفاصيل رحلة "**بوضربة**" يجد أن الرجل فعلا كان يجسد جسا للنبض وحمل معلومات مستفيضة حول الشخصيات المهمة وهو من احتك فعليا بالميدان قبل "**دوفرييه**" وعملهما مكمل

لبعضه و خادم للاستراتيجية التي كان يتبناها الاحتلال الفرنسي التي أظهرت أنها لا تتعجل الأمور و أنما تبحث السبل الكفيلة للسيطرة بالأسلوب المناسب، وعلى سبيل المثال لا الحصر إن "**بوضربة**" هو الذي أشار إلى أهمية شخصية **أخنوخن**"، وهو الذي أشار إلى أهمية نسج العلاقات مع التوارق إن رغب الفرنسيون في السيطرة على طرق القوافل التجارية، ولا شك أن زميله "**دوفرييه**" اطلع على نتائج رحلته التي نشرت قبل أن يشرع هو في رحلته، ولهذا فإنه لا يمكننا إلغاء أو الانتقاص من دور "**بوضربة**" قياسا بحجم ودقة الملاحظات والتوصيات التي جاءت بها رحلته[48].

وقد رافقه الشيخ عثمان في مهمة جس النبض التي لم يلقى فيها قبولا من قبل الناس[49] لولا حماية "**أخنوخن**"، ما يجعلنا نستنتج أن الحكم السابق على دور "**بوضربة**" ليس صائبا كله لأنه كتب في تقريره تفاصيل عدم قبولهم عند وصولهم فلهذا نقول إن تكليف "**دوفرييه**" تكملة للمهمات السابقة.

بعد كل الجهود للتحضير للسيطرة على تجارة القوافل الصحراوية العابرة للسودان، التي تعد المرحلة الأولى لتحقيق هدف السيطرة على كل شيء واحتلال كل تلك المناطق، ولتهيأت الظروف أكثر، ووضع اللمسات الأخيرة على الاتفاق المزمع عقده مع توارق آجر تمت دعوة "**الشيخ عثمان**" إلى باريس بغية التأكد من كل شيء، ولأنه كان الدليل والرفيق في كل من رحلتي "**بوضربة** " و"**دوفرييه**" وبقي هناك خمسة عشر يوما[50] ثم قدم إلى أغدامس بتاريخ 21 أكتوبر 1862م[51]وفد فرنسي مكون من:

- **ميرشير (MIRCHIER)**: قائد سرية الأركان.
- **بولينياك (POLIGNAC)**: نقيب الأركان منتدب بالمكتب السياسي للشؤون العربية.
- **هوفمان (HOFFMAN)**: طبيب.
- **دي فانتون (DE VANTONNE)**: مهندس.
- **إسماعيل بوضربة**: مترجم عسكري.

أما وفد توارق آجر فكان مكونا من:

- **الحاج جبور**: أمغار قبيلة إيمنغاستن.
- **الشيخ عثمان**: أمغار إيفوغاس.
- **الحاج عمر**: أخ الشيخ أخنوخن نائبا عنه[52].

والملاحظ على مكونات الوفد الفرنسي غلبة العسكريين على الوفد ما يعني أن الفرنسيين يعتبرون المسألة من الشؤون العسكرية وتثبت أنها مرحلة أو محطة من محطات تهيأت الجو للتوسع والسيطرة بعدها، وبالنسبة للوفد الممثل لتوارق آجر فإن أبرز ملاحظة هي عدم حضور "**أخنوخن**" الذي يعد الشخصية الأهم والمحورية وقد أثنى عليه كل من "**بوضربة**" و"**دوفرييه**" ولم تتناول المراجع والمصادر سبب غياب "أخنوخن" وكلها تشير إلى أن أخاه ناب عنه وأنه أرسله ما يعني أن الرجل كان حذرا وفي نفس الوقت لم يريد أن يترك المجال فارغا ليوقع أحد آخر الاتفاق باسمه، ما عدى ما عثرنا عليه عند "**تشايجي**" الذي أشار إلى أن "**أخنوخن**" وعد

بالحضور ولم يحضر وفي تفسيره لذلك ترك الباب مفتوحا للدراسات في حال ظهور وثائق جديده تظهر مستقبلا يمكن أن تجيب على السؤال ووضع احتمال أن التحركات العثمانية في المنطقة قد تكون السبب[53].

وبعد مفاوضات استغرقت حوالي شهر من 21 أكتوبر إلى 22 نوفمبر 1862م تاريخ توقيع الاتفاقية بين الطرفين والتي حررت باللغتين العربية والفرنسية ووقع فيها اثنان من كل طرف "**الحاج عمر**" شقيق "**أخنوخن** " والشيخ "**عثمان**" عن توارق آجر و"**بولونياك**" و"**ميرشير**" عن الفرنسيين ونصت الاتفاقية على ما يلي:

- إقرار الصداقة والتعاون بين توارق أجر والفرنسيين.
- منح رخصة دخول القوافل التجارية للتوارق لكافة أسواق الجزائر.
- يسهل التوارق ويضمنون أمن ومشاركة القواقل التجارية الفرنسية من وإلى السودان.
- اتفق الطرفان على تأمين الطريق وإصلاحها واصلاح الآبار في طريق التجار الفرنسيين إلى السودان[54].

وتضمنت الاتفاقية بنودا إضافية المتمعن فيها يدرك أنها تحمل تفاصيل لربما هي التي أدت إلى إطالة مدة المفاوضات بين الطرفين، تذكر أن الفرنسيين يضمن أمن قوافلهم عبر آجر عائلة "**أخنوخن**"، وقضية دفع المكوس وحقوق المرور لوكلائه وورثته[55] أهداف وخلفيات الاتفاقية:

إن الملاحظ للأحداث التاريخية المتسارعة التي وقعت في الفترة التي وقعت فيها الاتفاقية والتي تمثل فترة التوسع الفرنسي إذ بانت طموحاته الكبرى، فهو يرغب في التوسع في الجنوب الجزائري، ولا يريد الصدام المباشر إذ مازال يجهل الكثير من المعطيات في الميدان، ولا يريد أن يكرر نفس الأخطاء التي وقع فيها والتي كلفته الكثير من الخسائر في الأرواح والأموال، ويرغب كذلك في السيطرة على تجارة القوافل ومن ثمة يتوسع في السودان وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، ويريد حسم الصراع على مناطق النفوذ التابعة له مع خصمه الإنجليزي لهذا تعتبر الاتفاقية التي وقعها مع توارق آجر تحركا ذكيا جدا أصاب به عدة أهداف دفعة واحدة من أهمها أن هذه الاتفاقية تمنحه الشرعية أمام خصمه كونه طرف في تجارة القوافل وبهذا تصبح مناطق نفوذه و توسعه ما يفهم منه أن للاتفاقية خلفيات و أهداف يمكن تلخصيها كما يلي:

أولا: حاول الفرنسيون صياغة البنود بشكل يجعلهم يستفيدون من كل فروع التوارق بالرغم من معرفتهم خصوصيات واستقلالية كل مجموعة أو كونفيدرالية فهم يعرفون فالتفاصيل المتعلقة بمركز القوة داخلها والعلاقات بدقة، فقد دون تفاصيل ذلك "**دوفرييه**" في كتبه حول التوارق بل إن "**بوضربة**" كتب في رحلته تفاصيل جد دقيقة عن نفوذ وقوة شخصية "**أخنوخن**" فقد جالسه وجالس "**محمد أق ختيتة**" [56].

ثانيا: حاول الفرنسيون من خلال الاتفاقية اغراء التجار التوارق أو القوافل التي تحت رعايتهم بإمكانية مشاركتهم في الأسواق في المناطق التي سيطر عليها الاحتلال الفرنسي في الجزائر، هذا ما يظهر أن الفرنسيين في الحقيقة يحاولون الحصول على مكسب فتح الأسواق بالنسبة لهم ذلك أن التوارق كان معاشهم من حماية القوافل كأساس، لذلك فإن المستفيد الأكبر من فتح أسوق أخرى هو الطرف الفرنسي، الذي كان يستهدفها أصلا إذ الهدف الحقيقي تحويل التجارة إلى الجزائر[57].

ثالثا: يظهر من خلال البنود أن الفرنسيين كان تركيزهم الكبير على تجارة السودان وعرفوا من خلال المعلومات التي جمعوها أن سيطرتهم ومعرفتهم لطرقها وضمان أمنهم كاستراتيجية للمرحلة الأولى حتى يأمنوا التوارق على مستكشفيهم وتجارهم ثم الهيمنة والسيطرة في المرحلة الثانية.

رابعا: حاول الفرنسيون إظهار أنهم يحترمون التقاليد على سبيل المثال التزامهم بدفع رسوم المرور والحماية التي أدرجت في الاتفاقية، واستمرارية العلاقات بين أزجر والسوافة والشعانبة لأن "**بوضربة**" أشار في رحلته إلى إمكانية اضطلاع السوافة والشعانبة بنفس الأدوار التي يريدها الفرنسيون في مشروع السيطرة والهيمنة على تجارة القوافل[58].

خامسا: من خلال قراءة الاتفاقية يتضح أن الفرنسيين كانت لديهم معلومات مستفيضة وكافية ذلك أن بعض المراجع ذكرت أن الشيخ عثمان سافر لباريس وبقي بها خمسة عشر يوما وخلالها عرض على نابليون الثالث قضية الاتفاقية، وبالعودة إلى رحلة "**بوضربة**" نجد أن الفرنسيين كانت لديهم تفاصيل التفاصيل حتى موقف وموقع القوى الدينية وتأثيرها ونفس الأمر بالنسبة لـ: "**دوفريه**" الذي حاول في كتاباته الإحاطة بجميع نواحي الحياة وتفاصيلها لدى هذه المجموعة التي يحاول الاحتلال استغلالها لخدمة مصالحه.

خاتمة

مثلت رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات نموذج منهجية الاحتلال الفرنسي في جمع المعلومات وتوظيفها لأهداف قريبة المدى وتُجهز للوصول لأهداف أبعد، منها وأهمها شروع الفرنسيين في اختراق تجارة القوافل الصحراوية والتفوق على الخصوم الأوروبيين وقد بلغت ذلك بأن امتلكت أحقية التوسع في تلك المناطق بدعوى أنها جزء من مناطق مصالحها ونفوذها، ولديها اتفاقيات تجارية تمنحها الشرعية المطلوبة في فترة الصراع الأوروبي على مناطق النفوذ في إفريقيا.

كما مثلت نموذجا لكيفية تعامل فرنسا مع المسلمين فبالرغم من جهود بوضربة وما وفرته مغامرته ورحلته إلى غات من معلومات فتحت الطريق ووضعت الأساس لتجسيد تلك الأهداف قبل المغامرين الأوروبيين الآخرين الذين منح لهم تقدير أكبر مما حظي به هو بالرغم من أنه سبقهم ووفر لهم المعلومات الكافية، وتمكن الفرنسيون من استثمار كل تلك المعلومات وبخبرته كمترجم في المكتب العربي في الأغواط راكم الرجل خبرات في التعامل مع سكان الصحراء ووظفها في جمع المعلومات والملاحظات التي دونها في تقريره.

بقراءة ما كتبه بوضربة بعد عودته من رحلته نجد أنه استطاع أن يُعَرف الفرنسيين بفروع قبائل التوارق ومواطنهم وعاداتهم وكيف يفكرون علاقاتهم وخلافاتهم، نمط معيشتهم وتفكيرهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكلها معلومات لم يكن ليحصل عليها الفرنسيون من خلال احتكاكهم بالتوارق عن طريق أوروبي في البداية ولهذا فإن بوضربة عمق من معارفهم والسبل الكفيلة بتحقيق ذلك الاحتكاك بحذر في فترة لم يكن لديهم معلومات دقيقة عنهم وعن مناطقهم، ويعد ما كتبه مصدرا مهم للعديد من المعلومات في إطارها الزمكاني

لا يمكن الإحاطة بها كلها في هذه الصفحات المعدودات فهي مميزة وتحمل بين طياتها الكثير مما يثير شغف المهتمين بدراسة استراتيجيات توسع الاحتلال الفرنسي المختلفة.

الهوامش:

1 – أبو القاسم سعد الله، (2007)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، ج6، ص 153.

2 – المرجع نفسه، ج6، ص 228.

3 – أبو القاسم سعد الله، (2009)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، عالم المعرفة، دار الرائد، الجزائر، ج5، ص 58.

4 – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج6، ص228.

5 – **الجمعية التاريخية الجزائرية:** تأسست هذه الجمعية في 07 افريل 1856م في الجزائر العاصمة، صاحب الفكرة كان الحاكم العام "**راندون**" وتذكر المراجع أنه الرئيس الشرفي لها، وقد عُين رئيسا لها "**بير بروجر**" وحسب قانونها الأساسي فإن هدف الجمعية دراسة والاهتمام بكل القضايا ذات الصلة بتاريخ إفريقيا عموما والجزائر خصوصا وكان أعضاءها عسكريون ومترجمون وأثريون وأدباء فرنسيون ومستشرقون أصدر دورية تابعة لها هي المجلة الإفريقية، للمزيد أنظر: سعد الله، ج6، ص ص 94-96.

6 – **بيربروجر:** أثري فرنسي ولد في 11 ماي 1801 بباريس ومات 02 جويلية 1862م بالجزائر، أسندت له عدة مهام أثناء توسع الاحتلال الفرنسي في الجزائر منها محافظ لمكتبة الجزائر العامة ورئيس تحرير لجريدة المرشد الجزائري وعضو في اللجان والجمعيات العلمية التي أنشأت حينها وأشهرها الجمعية التاريخية التي كان أول رئيس لها مكنته التسهيلات وعمله في مرافقة الجيش الفرنسي من وضع يده على آلاف المخطوطات الجزائرية، للمزيد أنظر: صدوقي محمد، (2019)، "**الكتابة التاريخية الاستعمارية الفرنسية من خلال اسهامات بيربروجر في المجلة الإفريقية1856-1869**"، مجلة اللغة العربية ، المجلد 21 ،ع 6، ص ص 385-410؛ وأنظر: متاجر صورية وهلايلي حنيفي، (2020)، "**إنتاج المعرفة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية في مدونات المجلة الأفريقية: نموذج : بيربروجر – دوفو – رين – دو غرامون**"، مجلة الحوار المتوسطي ، المجلد 11،ع 1، ص ص 100-116.

7 – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج6، ص228.

8 – سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج5، ص58.

9 – **هنري دوفرييه:** (HENRI DUVERIER) : مستكشف فرنسي ولد عام 1840في باريس ركز اهتماماته واستكشافاته وكتاباته على التوارق، أتقن لغتهم وربطته علاقة بالزعيم "**أخنوخن**"، مرض وفقد ذاكرته وتقول بعض المراجع أنه مات منحرا ألف عدة كتب حول التوارق منها كتاب "**ملاحظات على التوارق وبلدهم**" وكتاب "**توارق الشمال**" وكتاب "**السفر في الصحراء**" وكتاب "**الصحراء الجزائرية والتونسية**"، للمزيد أنظر: محمد مبارك كديده **(2016)**، "**مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري(هنري دوفرييي أنموذجا)**" ، مجلة آفاق علمية، ع11 ، ص ص 26-72.

10 – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج6، ص228.

11 – محمد بن عثمان الحشايشي التونسي، (1965) ، **رحلة الحشايشي إلى ليبيا سنة 1895 – جلاء الكرب عن طرابلس الغرب**، دار لبنان، بيروت، ص ص117-118.

12 – H.BISSUEL,(1891), **LE Sahara français** , Adolphe Jourdan , Alger , pp 126-127.

13 – الحشايشي، المصدر السابق، ص110.

14 – تشايجي، المرجع السابق، ص 76.

15 الحشايشي، المصدر السابق، ص 112.

16 – **هنري بارث:** من أبرز المستكشفين الأوروبيين للقارة الافريقية ألماني تعلم اللغة العربية واستعانت به بريطانيا لاستكشاف الصحراء الافريقية وتجارتها خاصة تجارة الرقيق استغرقت رحلته خمس سنوات فقد انطلق في 24 مارس 1850م من طرابلس وعاد إليها يوم 28 أوت 1855، ثم عاد إلى لندن في 6 سبتمبر 1855م قبل وفاته في سنة 1865م كتب مقالا مهما في نشرة الجمعية الجغرافية لباريس

حمل عدة توصيات مهمة للاحتلال الفرنسي منها ضرورة الاختيار الدقيق لروادها الذين يضطلعون بمهام يجب أن تمزج ما بين السياسة والقوة وضرورة الفهم الجيد لذهنيات الناس ومعتقداتهم للمزيد أنظر: إبراهيم مياسي، (2012)، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومة ، الجزائر، ص ص 205-207.

17- I. BOUDERBA, (Décembre 1859)، **VOYAGE A R'AT**, Revue algérienne et Colonial ،pp 241-308

18 - **الشيخ عثمان بن البكري السوقي** : عثمان بن الحاج البكري بن محمود بوية بن سي محمد بن سي أحمد السوقي بن محمود مقدم الطريقة التيجانية في تيماسينين كرس نفسه لخدمة الزاوية بعد أداء فريضة الحج ، شخصية غامضة في علاقاتها بالأوروبيين فقد كان دليلا لاسماعيل بوضربة في رحلته إلى غات عام 1858م ودعاه الفرنسيون لزيارة الجزائر العاصمة وباريس فقام بذلك عام 1862م وكان له صلة بالإنجليز أيضا فقد رافقا لـ"**غوردن لانق**" في رحلاته اغدامس عام 1866م وعين صالح عام 1867م : أنظر : سعد الله ، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج5، ص59 .

19 - **كيل غلا**: من أبرز وأهم فروع توارق أهقار وبحثنا في اللغة وسألنا ولم نجد إجابة عن معنى "**غلا**" في حد ذاته إلا أن "**كيل غلا**" يعد مؤثرا أساسيا ومباشرا في السياسة في أهقار فهذه القبيلة كانت الحاكمة ويتم ربطهم برواية وأسطورة "**تينهنان**" التي فيها ما يقال خاصة أن الفرنسيين عملوا على القضية فربط "**كيل غلا**" بـ: "**كلة بنت** "**تينهنان**"

20 - **تايتوق**: قبيلة لها نفوذها في أهقار وتحتل المنطقة الغربية من أهقار ومنطقتها مهمة ذلك أنها تربطها بالطريق إلى تيديكلت وتوات وتومبكتو بمنطقة "**أضاغ**" وهذه القبيلة بالرغم من أنها من أهم مكونات كونفيديرالية أهقار إلا أنها كانت تميل دوما للاستقلالية بالرغم من العلاقات التي تربطها بـ: "**كيل غلا**" أنظر: حسن مرموري، (2010)، **التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية بداية القرن العشرين**، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 168.

21 - BOUDERBA, Op Cit, p p 241-242.

22 - Ibid, pp 242-246.

23 - Ibid, p 248.

24 - **تمنوكلة**: تسمية النظام السياسي لدى "**كِل أهقار**" وغيرهم من فروع التوارق والذي يكون على رأسه أمنوكال: للمزيد من التفاصيل: أنظر: محمد مبارك كديده، (2014)، "**النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب**"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع04، ص ص18-21، وأنظر: مرموري، المرجع السابق، ص ص 170-184.

25- مرموري، المرجع السابق، ص 195.

26 - مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست، **الأيام الدراسية حول الحاج أحمد البكري والتحول الاقتصادي في منطقة الهقار**، تحت شعار: دراسة التاريخ لبناء المستقبل، تامنغست 25-26-27 ديسمبر 2016.

27 - مرموري، المرجع السابق، ص195.

28 -BOUDERBA, Op Cit, pp 248-265.

29 -Ibid, pp 265-266.

30 - Ibid, pp 264-265 .

31- **إيفوغاس**: فرع من فروع التوارق يرجع أصلهم إلى السوك أو " **كِل أسوك**" وارتباطهم دائما وثيق بالعلم والدين لم يبقوا في مالي فقط بل توزعوا وارتبطوا كثيرا بالطريقة التيجانية وأشهر زاوية لهم هي زاوية تيماسينين: أنظر: محمد السويدي، (1986)، **بدو التوارق بين الثبات والتغير**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص77.

32 - BOUDERBA, Op Cit, pp 266-269.

33 - Ibid, pp 269-272.

34 – **أخنوخن** : أخنوخن أق عثمان من أبرز الشخصيات في منطقة آجر ولد سنة 1785م إلا أن بوضربة في لقاءه معه حين وصفه ميز أن عمره ستون سنة يتميز بطول القامة ووجهه يدل على قوة شخصيته، كان المرشح الأول لخلافة خاله في منصب الأمينوكال حسب القاعدة فإن المرشح الأول يكون أبن الأخت الكبرى للأمينوكال السابق ثم يليه ابن الأخت الصغرى وكان من المفروض أن يتولى منصب الأمينوكال خلفا لخاله محمد شفاو سنة 1824م لكنه تنازل لأبن خالته محمد أق ختيتة إلا أن قوة وتأثير شخصية "**اخنوخن**" غطت على ابن خالته وبقي الناس ينظرون إليه ويعاملونه على أنه الأمينوكال قام برحلة الحج وخلالها زار مصر واطلع على أحوالها توفي سنة 1886م : أنظر مرموري ، المرجع السابق ، ص ص 186–187.

وأنظر: BOUDERBA, Op Cit ,pp 284–285.

35 –Ibid, pp 269–280.

36 – لم يكن اخنوخن في منصب الأمينوكال حينها فقد كان المرشح الأول حسب القاعدة التي تقول إنه المؤهل الأول بحكم أنه ابن الأخت الكبرى للأمينوكال وبعده في الأولوية يأتي الابن الأكبر للأخت الصغرى للأمينوكال بالرغم من الصفات التي يتمتع بها "**أخنوخن**" إلا أنه كان يرى أن متطلبات المنصب تقيده وهذا ما لم يكن يريده فتنازل عن المنصب بمحض إرادته لإبن خالته "**محمد أق ختيتة**" والذي هو زوج أخته في نفس الوقت أنظر مرموري، المرجع السابق، ص ص 185–186.

37 – BOUDERBA, Op Cit, pp 280–282.

38 – Ibid, pp 283–287.

39 – Ibid, pp 283–287.

40 –مياسي، المرجع السابق، ص ص 398–405.

41 – Barth, Heinrich, (1861), **Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 à 1855**, A.BOHNE Libraire , Paris , A.LACROIX , BRUXEL,

42– BETRIX , **La Pénétration Touareg** , Henri Charles –Lavauzelle, Paris , s.d, p7 , pp47–48.

43 – محمد مبارك كديده، "**مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري (هنري دوفريير أنموذجا)**"، مجلة أفاق علمية، ع11، 2016، ص ص 26–72.

44 – مياسي، المرجع السابق، ص 410–413.

45 –BOUDERBA, Op Cit, pp –pp241–305.

46 – مياسي، المرجع السابق، ص 410.

47 – عبد الرحمان تشايجي، (1972)، **الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى**، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية، ص ص 63–64.

48– BOUDERBA , Op Cit ,pp 242–305.

49 – تشايجي، المرجع السابق، ص 67.

50 – لم نعثر على تاريخ محدد فيما اطلعنا عليه من مصادر سوى الإشارة إلى أنه بقي في باريس مدة 15 يوما وهو المهم الذي أشرنا إليه وهي مدة كافية للتنسيق وتحضير كافة الأمور تحضيرا لتوقيع الاتفاقية ولا يمكن اعتماد تاريخ معين إن لم نعثر عليه في مصاد مختلفة فنقارن فتشايجي يذكر بقاءه في فرنسا 15 يوم و"**فانتون**" (Vatonne) كذلك أنظر :

Vatonne. F, (1863), **Mission De GHADAMES (Septembre, Octobre, Novembre, Décembre 1862)**, Typographie DUCLAUX, Alger, p7.

وتجدر الإشارة إلى أن البعض لما يعود إلى بعض المصادر ويترجم يقوم بإتباع بعض المصطلحات التي استعمله الفرنسيون فيقع الخطأ إذ لا تكفي المعلومة بل يجب تتبع كل الحيثيات خاصة الثقافية منها واللغوية المرتبطة بالمجتمع الذي تصفه تلك الدراسة أو ذلك التقرير لأن تفسيراته من خارج الإطار الحضاري وتمثل نظرته هو منها استعمال مصطلح مربط للدلالة على المكانة الدينية لذلك الشخص.

51- مرموري، المرجع السابق، ص228.

52- إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 82، مرموري المرجع السابق، ص228، مياسي المرجع السابق، ص 414، تشايجي، المرجع السابق، ص71.

53 - تشايجي، المرجع السابق، ص 71.

54 - Vatonne, Op Cit, pp16-25.

55- Ibid, p25.

56- BOUDERBA, Op Cit, pp 242-305.

57- Vatonne, Op Cit, pp 16-25.

58 - BOUDERBA, Op Cit, pp 242-305.